الفصل الرابع :

نماذج من نصوص متناصة

obeikandl.com

obeikandl.com

نستعرض بعض النماج الشعرية ، نستجلي منها التناص :

القصيدة الأولى:

رسالة في ليلة التنفيذ

هاشم الرفاعي

أبتــاه مــاذا قــد يخــطُّ بنــاني ... والحبــلُ والجــلادُ ينتظــراني

هذا الكتابُ إليــكَ مِــنْ زَنْزانَــةٍ ... مقْــرورَةٍ صَخْــرِيَّة الجُــدْرانِ

لَــمْ تَبْــقَ إلاَّ ليلــةٌ أحْيــا بِهــا ... وأُحــسُّ أنَّ ظلامَهــا أكفــاني

سَتَمُرُّ يا أبتــاهُ لســتُ أشــكُّ في ... هــذا وتَحمِــلُ بعــدَها جُثْمــاني

الليلُ مِــنْ حَــولي هُــدوءٌ قاتِــلٌ ... والــذكرياتُ تَمــورُ في وِجْــداني

وَيَهُــدُّني ألَمــي فأنْشُــدُ راحَــتي ... في بِضْــعِ آيــاتٍ مِــنَ القُــرآنِ

والنَّفْسُ بــينَ جــوانحي شــفَّافةٌ ... دَبَّ الخُــوعُ بِهــا فَهَــزَّ كَيــاني

قَدْ عِشْتُ أُومِنُ بالإلــهِ ولم أَذُقْ ... إلاَّ أخــيراً لــذَّةَ الإيمــانِ

والصَّمتُ يقطعُهُ رَنــينُ سَلاسِــلٍ ... عَبَثَــتْ بِهِــنَّ أصــابعُ السَّــجّانِ

مــا بَــيْنَ آونــةٍ تَمُــرُّ وأختــها ... يرنــو إليَّ بمقلــتَيْ شــيطانِ

مِنْ كُوَّةٍ بالبابِ يَرْقُــبُ صَــيْدَهُ ... وَيَعُــودُ في أمْــنٍ إلى الــدَّوَرَانِ

أنا لا أُحِسُّ بــأيِّ حِقْــدٍ نَحْــوَهُ ... مــاذا جَنَــى فَتَمَسُّــه أضْــغاني؟

هُوَ طيِّبُ الأخلاقِ مثلُكَ يــا أبي ... لم يَبْــدُ في ظَمَــأٍ إلى العُــدوانِ

لكنَّــهُ إنْ نــامَ عَنِّــي لَحظــةً ... ذاقَ العَيــالُ مَــرارةَ الحِرْمــانِ

فلَرُبَّمـا وهُـوَ المُـروِّعُ سـحنةً ... لو كـانَ مِثْلـي شـاعراً لَرَثـاني

أوْ عـادَ مَـنْ يـدري إلى أولادِهِ ... يَومـاً وذكَّـرَ صُـورتي فَبكـاني

وَعلى الجِدارِ الصُّلبِ نافـذةٌ بِهـا ... معـنى الحيـاةِ غليظـةُ القُضْـبانِ

قَـدْ طالَمـا شـارَفْتُها مُتَـأمِّلاً ... في الثّائرينَ على الأسـى اليَقْظـانِ

فَأَرَى وُجوماً كالضَّبابِ مُصَـوِّراً ... ما في قُلوبِ النَّـاسِ مِـنْ غَلَيـانِ

نَفْسُ الشُّعورِ لَدى الجميعِ وَإنْ هُمُو ... كَتموا وكانَ المَـوْتُ في إعْـلاني

وَيدورُ هَمْسٌ في الجَوانِحِ ما الَّذي ... بِـالثَّوْرَةِ الحمْقـاءِ قَـدْ أغْـراني؟

أوَ لَمْ يَكُنْ خَيْراً لِنفسـي أنْ أُرَى ... مثلَ الجُمـوعِ أسـيرُ في إذْعـانِ؟

ما ضَرَّني لَوْ قَدْ سَـكَتُّ وَكُلَّمـا ... غَلَبَ الأسى بالَغْتُ في الكِتْمـانِ؟

هذا دَمِي سَيَسِيلُ يَجْرِي مُطْفِئـاً ... مـا ثـارَ في جَنَبَـى مِـنْ نـيرانِ

وَفـؤاديَ المَـوَّارُ في نَبَضـاتِهِ ... سَيَكُفُّ في غَـدِهِ عـنِ الْخَفَقـانِ

وَالظُّلْمُ باقٍ لَـنْ يُحَطِّـمَ قَيْـدَهُ ... مَـوْتي وَلَـنْ يُـودِي بِـهِ قُرْبـاني

وَيَسيرُ رَكْبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَضِـيرُهُ ... شاةٌ إذا اجْتُثَّـتْ مِـنَ القِطْعـانِ

هذا حَديثُ النَّفْسِ حينَ تَشُفُّ عَنْ ... بَشَـرِيَّتي وَتَمُـورُ بَعْـدَ ثَـوانِ

وتقُـولُ لي إنَّ الحَيـاةَ لِغايَـةٍ ... أسْـمَى مِـنَ التَّصْـفيقِ للطُّغْيـانِ

أنْفاسُكَ الحَرَّى وَإنْ هِيَ أُخْمِدَتْ ... سَـتَظَلُّ تَعْمُـرُ أُفْقَهُـمْ بِـدُخانِ

وقُروحُ جِسْمِكَ وَهُوَ تَحْتَ سِياطِهِمْ ... قَسَـماتُ صُـبْحٍ يَتَّقِيـهِ الْجـانِي

دَمْعُ السَّـجينِ هُنـاكَ في أغْلالِـهِ ... وَدَمُ الشَّـهيدِ هُنَـا سَـيَلْتَقِيانِ

حَتَّى إذا ما أُفْعِمَتْ بِهِما الرُّبا ... لم يَبْقَ غَيْرُ تَمَرُّدِ الفَيَضانِ

ومَنِ الْعَواصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا ... بَعْدَ الْهُدوءِ وَرَاحَةِ الرُّبَّانِ

إنَّ احْتِدامَ النَّارِ في جَوْفِ الثَّرَى ... أَمْرٌ يُثيرُ حَفِيظَةَ الْبُرْكانِ

وتتابُعُ القَطَراتِ يَنْزِلُ بَعْدَهُ ... سَيْلٌ يَليهِ تَدَفُّقُ الطُّوفانِ

فَيَمُوجُ يقتلِعُ الطُّغاةَ مُزَمْجِراً ... أقْوى مِنَ الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطانِ

أَنا لَستُ أَدْري هَلْ سَتُذْكَرُ قِصَّتي ... أَمْ سَوْفَ يَعْرُوها دُجَى النِّسْيانِ؟

أَمْ أَنَّني سَأَكونُ في تاريخِنا ... مُتآمِراً أَمْ هَادِمَ الأَوْثانِ؟

كُلُّ الَّذي أَدْرِيهِ أَنَّ تَجَرُّعي ... كَأْسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ في إِمْكاني

لَوْ لَمْ أَكُنْ في ثَوْرَتي مُتَطَلِّباً ... غَيْرَ الضِّياءِ لأُمَّتي لَكَفاني

أَهْوَى الْحياةَ كَريمَةً لا قَيْدَ لا ... إِرْهابَ لا اسْتِخْفافَ بِالإِنْسانِ

فَإِذا سَقَطْتُ سَقَطْتُ أَحمِلُ عِزَّتي ... يَغْلي دَمُ الأَحْرارِ في شِرياني

أَبَتاهُ إِنْ طَلَعَ الصَّباحُ عَلَى الدُّنى ... وَأَضاءَ نُورُ الشَّمْسِ كُلَّ مَكانِ

وَاسْتَقْبَلَ الْعُصْفُورُ بَيْنَ غُصُونِهِ ... يَوْماً جَديداً مُشْرِقَ الأَلْوانِ

وَسَمِعْتَ أَنْغامَ التَّفاؤلِ ثَرَّةً ... تَجْري عَلَى فَمِ بائِعِ الأَلْبانِ

وَأَتى يَدُقُّ- كما تَعَوَّدَ- بابَنا ... سَيَدُقُّ بابَ السِّجْنِ جَلَّادانِ

وَأَكُونُ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ مُتَأَرْجِحاً ... في الْحَبْلِ مَشْدُوداً إِلى العِيدانِ

لِيَكُنْ عَزاؤكَ أَنَّ هَذا الْحَبْلَ ما ... صَنَعَتْهُ في هِذي الرُّبوعِ يَدانِ

نَسَجُوهُ في بَلَدٍ يَشُعُّ حَضَارَةً ... وَتُضاءُ مِنْهُ مَشاعِلُ الْعِرفانِ

أَوْ هَكذا زَعَمُوا وَجِيءَ بِهِ إلى ... بَلَدي الْجَريحِ عَلَى يَدِ الأَعْوانِ

أنا لا أُريدُكَ أَنْ تَعيشَ مُحَطَّماً ... في زَحْمَةِ الآلامِ وَالأَشْجانِ

إِنَّ ابْنَكَ المَصْفُودَ في أَغْلالِهِ ... قَدْ سِيقَ نَحْوَ الْمَوْتِ غَيْرَ مُدانِ

فَاذْكُرْ حِكاياتٍ بِأَيَّامِ الصِّبا ... قَدْ قُلْتَها لي عَنْ هَوى الأَوْطانِ

وَإذا سَمِعْتَ نَشيجَ أُمِّيَ في الدُّجى ... تَبْكي شَباباً ضاعَ في الرَّيْعانِ

وتُكَتِّمُ الحَسراتِ في أَعْماقِها ... أَلَماً تُواريهِ عَنِ الجِيرانِ

فَاطْلُبْ إليها الصَّفْحَ عَنِّي إِنَّني ... لا أَبْتَغي مِنها سِوى الغُفْرانِ

مازَالَ في سَمْعي رَنينُ حَديثِها ... وَمقالِها في رَحْمَةٍ وَحنانِ

أَبَنِيَّ: إِنِّي قد غَدَوْتُ عليلةً ... لم يبقَ لي جَلَدٌ عَلى الأَحْزانِ

فَأَذِقْ فُؤادِيَ فَرْحَةً بِالْبَحْثِ عَنْ ... بِنْتِ الحَلالِ وَدَعْكَ مِنْ عِصْياني

كانَتْ لها أُمْنِيَةٌ رَبَّانِيَةٌ ... يا حُسْنَ آمالٍ لَها وَأَماني

وَالآنَ لا أَدْري بِأَيِّ جَوانِحٍ ... سَتَبيتُ بَعدي أَمْ بِأَيِّ جِنانِ

هذا الذي سَطَّرْتُهُ لكَ يا أبي ... بَعْضُ الذي يَجْري بِفِكْرٍ عانِ

لكنْ إذا انْتَصَرَ الضِّياءُ وَمُزِّقَتْ ... بَيَدِ الْجُموعِ شَريعةُ القُرْصانِ

فَلَسَوْفَ يَذْكُرُني وَيُكْبِرُ هِمَّتي ... مَنْ كانَ في بَلَدي حَليفَ هَوانِ

وَإلى لِقاءٍ تَحْتَ ظِلِّ عَدالَةٍ ... قُدْسِيَّةِ الأَحْكامِ والمِيزانِ

****

القصيدة الثانية :

رسالة من المعتقل
سميح القاسم

"ليس لديَّ ورق ولا قلم.

لكنني... من شدّة الحرِّ، من البق..

ومن مرارة الألم يا أصدقائي لم أنم.

فقلت ماذا لو تسامرت مع الأشعار

وزارني من كوَّة الزنزانة السوداء لا تستخفّوا...

زارني وطواط وراح في نشاط يقبّل الجدران في زنزانتي السوداء.

وقلت يا الجريء في الزوّار .

حدِّث!.. أما لديك عن عالمنا أخبار؟!

فإنني يا سيدي، من مدّة لم أقرأ الصحف هنا.

لم أسمع الأخبار.

حدّث عن الدنيا، عن الأهل، عن الأحباب لكنه بلا جواب!

صفّقَ بالأجنحة السوداء عبر كوَّتي ...

وطار!

وصحت: يا الغريب في الزوار.

مهلاً !

ألا تحمل أنبائي إلى الأصحاب؟ ..

***

من شدة الحر من البق من الألم يآ أصدقآئي لم أنم

و الحارس المسكين،

ما زال وراء الباب ما زال..

في رتابةٍ يُنَقّل القدم

مثليَ لم ينم كأنّه مثليَ، محكوم بلا أسباب!

أسندت ظهري للجدآر ... مهدماً

و غصت ... في دوآمة بلآ قرآر

والتهبت في جبهتي الأفكآر..

***

أماه! كم يحزنني أنك من أجلي في ليل من العذاب

تبكين في صمت متى يعود من شغلهم إخوتي الأحباب،

وتعجزين عن تناول الطعام ومقعدي خالٍ..

فلا ضحكٌ ...

ولا كلام.

أماه! كم يؤلمني!

أنك تجشهين بالبكاء إذا أتى يسألكم عني الأصحاب .

لكنني.. أومن يا أماه!

أومن أن روعة الحياة تولد في معتقلي،

أومن أن زائري الأخير.. لن يكون خفّاش ليل.. مُدْلِجاً بلا عيون.

لا بد... أن يزورني النهار

وينحني السجان في انبهار ويرتمي ...

ويرتمي معتقلي مهدماً... لهيبه النهار." !!

هاتان قصيدتان بينهما تناص نلمحه فيما يلي :

١- قصيدة هاشم الرفاعي المولود عام ١٩٣٥ ، يتحدث فيها عن أحاسيسه في ليلة الحكم عليه بالإعدام .

٢- وقصيدة سميح القاسم المولود عام ١٩٢٩ يتحدث أيضا عن أحاسيسه من داخل الاعتقال .

٣- كثير من أبيات هاشم الرفاعي يتشابه مع ما كتب سميح القاسم مثل :

● يقول هاشم الرفاعي مصورا وحشة السجن الذي أرد فيه وحيدا :

هذا الكتابُ إليكَ مِنْ زَنْزانَةٍ مقْرورَةٍ صَخْرِيَّة الجُدْرانِ

لَمْ تَبْقَ إلاَّ ليلةٌ أحْيا بِها وأُحسُّ أنَّ ظلامَها أكفاني

ويقول سميح في المضمون نفسه مصورا كآبة السجن وما فيه من وحشة وألم .

فقلت ماذا لو تسامرت مع الأشعار

وزارني من كوَّة الزنزانة السوداء لا تستخفّوا...

زارني وطواط وراح في نشاط يقبّل الجدران في زنزانتي السوداء.

وقلت يا الجريء في الزوّار .

حدِّث!.. أما لديك عن عالمنا أخبار؟!

فإنني يا سيدي، من مدّة لم أقرأ الصحف هنا.

لم أسمع الأخبار.

● يقول هاشم الرفاعي مصورا حارس السجن ومشاعره نحوه ، وأنه إنسان مثله ، لكنه ينفذ ما يلقى إليه من أوامر وتعليمات .

والصَّمتُ يقطعُهُ رَنينُ سَلاسِلٍ ... عَبَثَتْ بِهِنَّ أصابعُ السَّجّانِ

ما بَيْنَ آونةٍ تَمُرُّ وأختِها ... يرنو إليَّ بمقلتيْ شيطانِ

مِنْ كُوَّةٍ بالبابِ يَرْقُبُ صَيْدَهُ ... وَيَعُودُ في أمْنٍ إلى الدَّوَرَانِ

أنا لا أُحِسُّ بِأيِّ حِقْدٍ نَحْوَهُ ... ماذا جَنَى فَتَمَسُّه أضْغاني؟

هُوَ طيِّبُ الأخلاقِ مثلُكَ يا أبي ... لم يَبْدُ في ظَمَأٍ إلى العُدوانِ

لكنَّهُ إنْ نامَ عَنِّي لَحظةً ... ذاقَ العَيالُ مَرارةَ الحِرْمانِ

فلَرُبَّما وهُوَ المُرَوِّعُ سحنةً ... لو كانَ مِثْلي شاعراً لَرَثاني

أوْ عادَ مَنْ يدري إلى أولادِهِ ... يَوماً وذكَّرَ صُورتي فَبكاني

وفي المعنى نفسه يقول سميح القاسم ،

و الحارس المسكين،

ما زال وراء الباب ما زال..

في رتابةٍ يُنَقّل القدم

مثليَ لم ينم كأنّه مثليَ، محكوم بلا أسباب!

أسندت ظهري للجدآر ... مهدمآ

و غصت ... في دوآمة بلآ قرآر

والتهبت في جبهتي الأفكآر..

● ومن بين جدران السجن يتحدث هاشم إلى أمه مبينا مشاعرها وكيف ستبيت في بعد ابنها المسجون عنها ،

وَإذا سَمِعْتَ نَشيجَ أُمِّيَ في الدُّجى ... تَبْكي شَباباً ضاعَ في الرَّيْعانِ

وتُكَتِّمُ الحَسراتِ في أَعْماقِها ... أَلَماً تُوارِيهِ عَنِ الجِيرانِ

فَاطْلُبْ إِليها الصَّفْحَ عَنِّي إِنَّني ... لا أَبْتَغي مِنها سِوى الغُفْرانِ

مازَالَ في سَمْعي رَنينُ حَديثِها ... وَمقالِها في رَحْمَةٍ وَحنانِ

أَبَنيَّ: إِنِّي قد غَدَوْتُ عليلةً ... لم يبقَ لي جَلَدٌ عَلى الأَحْزانِ

فَأَذِقْ فُؤادِيَ فَرْحَةً بِالْبَحْثِ عَنْ ... بِنْتِ الحَلالِ وَدَعْكَ مِنْ عِصْياني

كانَتْ لها أُمْنِيَةً رَبَّانَةً ... يا حُسْنَ آمالٍ لَها وَأَماني

وَالآنَ لا أَدْري بِأَيِّ جَوانِحٍ ... سَتَبيتُ بَعدي أَمْ بِأَيِّ جِنانِ

وفي الإطار نفسه يبين سميح القاسم مشاعر أمه الوالهة حين يسأل عنه الصحاب وهو هناك قيد السجن والاعتقال :

أماه! كم يؤلمني!

أنك تجشهين بالبكاء إذا أتى يسألكم عني الأصحاب .

لكنني.. أومن يا أماه!

أومن أن روعة الحياة تولد في معتقلي،

****

هكذا يبدو التناص والتأثر بين كل من الشاعرين واضحا ملموسا في المضمون والفكر الجزئية ، مع اختلاف الصياغة ، فقصيدة الرفاعي عمودية بينما قصيدة سميح من شعر التفعيلة .

وهذان نموذجان آخران :

النص الأول

فتح عمورية
أبو تمام

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
تخرصاً وأكاذيباً ملفقة ... ليست بنبعٍ إذا عدت ولا غرب
عجائباً زعموا الأيام مجفلةً ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبراج العليا مرتبة ... ما كان منقلباً أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ ... ما دار في فلكٍ وفي قطب
لو بنيت قط أمراً قبل موقعه ... لم تخف ما حل بالأوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلاً متسولة الحلب
أبقيت جد بني الإسلام في صعدٍ ... والمشركين ودار الشرك في صبب

أتتهم الكربة السوداء سادرةً ... منها وكان اسمها فراجة الكرب

جرى لها الفأل برحاً يوم أنقرةٍ ... إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

بسنة السيف، والحناء من دمه ... لا سنة الدين والإسلام مختضب

لقد تركت أمير المؤمنين بها ... للنار يوماً ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يشله وسطها صبحٌ من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت ... عن لونها وكأن الشمس لم تغب

ضوءٌ من النار والظلماء عاكفةٌ ... وظلمةٌ من دخانٍ في ضحىً شحب

لو يعلم الكفر كم من أعصرٍ كمنت ... له العواقب بين السمر والقضب

تدبير معتصمٍ بالله منتقمٍ ... لله مرتقبٍ في الله مرتغب

ومطعم النصر لم تكهم أسنته ... يوماً ولا حجبت عن روح محتجب

لم يغز قوماً ولم ينهد إلى بلدٍ ... إلا تقدمه جيشٌ من الرعب

لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفلٍ لجب

رمى بك الله برجيها فهدمها ... ولو رمى بك غير الله لم يصب

حتى تركت عمود الشرك منقعراً ... ولم تعرج على الأوتاد والطنب

إن الأسود، أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ولي وقد ألجم الخطي منطقه ... بسكتةٍ تحتها الأحشاء في صخب

يارب حوباء لما اجتث دابرهم ... طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسرٍ من التعب

إن كان بين صروف الدهر من رحمٍ موصولةٍ أو ذمامٍ غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدرٍ أقرب النسب

أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وانظر إلى البردوني الشاعر اليمني في عصرنا الحديث وكيف تناص مع المتنبي في قصيدته التي قالها في فتح عمورية قديما ؟ ، وكيف كان سيف المتنبي ، وكيف صور السيف في عصرنا الحاضر؟ ، وكيف كان العرب قديما ، وكيف صار حالهم اليوم ؟

ما أصدق السيف
عبد الله البردوني

ما أَصْدَقَ السَّيْفَ! إنْ لَمْ يُنْضِهِ الكَذِبُ
وَأَكْذَبَ السَّيْفَ إنْ لَمْ يَصْدُقِ الغَضَبُ

بِيضُ الصَّفَائِحِ أَهْدَى حِينَ تَحْمِلُهَا
أَيْدٍ إذَا غَلَبَتْ يَعْلُو بِهَا الغَلَبُ

وَأَقْبَحَ النَّصْرِ..نَصْرُ الأَقْوِيَاءِ بِلاَ
فَهْمٍ. سِوَى فَهْمِ كَمْ بَاعُوا وَكَمْ كَسَبُوا

أَدْهَى مِنَ الجَهْلِ عِلْمٌ يَطْمَئِنُّ إِلَى
أَنْصَافِ نَاسٍ طَغَوا بِالعِلْمِ وَاغْتَصَبُوا

قَالُوا: هُمُ البَشَرُ الأَرْقَى وَمَا أَكَلُوا
شَيْئاً .. كَمَا أَكَلُوا الإِنْسَانَ أَوْ شَرِبُوا

مَاذَا جَرَى.. يَا أَبَا تَمَّامَ تَسْأَلُنِي؟
عَفْواً سَأَرْوِي ..وَلا تَسْأَلْ .. وَمَا السَّبَبُ

يَدْمَى السُّؤَالُ حَيَاءً حِينَ نَسْأَلُهُ
كَيْفَ احْتَفَتْ بِالعِدَى «حَيْفَا» أَوِ «النَّقبُ«

مَنْ ذَا يُلَبِّي ؟ أَمَا إِصْرَارُ مُعْتَصِمٍ ؟
كَلاَّ وَأَخْزَى مِنَ « الأَفْشِينَ » مَا صُلِبوا

اليَوْمَ عَادَتْ عُلُوجُ «الرُّومِ» فَاتِحَةً
وَمَوْطِنُ العَرَبِ المَسْلُوبُ وَالسَّلَبُ

مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كَالرِّجَالِ وَلَمْ
نصدُق وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالكُتُبُ

وَقَاتَلَتْ دُونَنَا الأَبْوَاقُ صَامِدَةً
أَمَّا الرِّجَالُ فَمَاتُوا... ثَمَّ أَوْ هَرَبُوا

حُكَّامُنَا إِنْ تَصَدّوا لِلْحِمَى اقْتَحَمُوا
وَإِنْ تَصَدَّى لَهُ المُسْتَعْمِرُ انْسَحَبُوا

هُمْ يَفْرُشُونَ لِجَيْشِ الغَزْوِ أَعْيُنَهُمْ
وَيَدَّعُونَ وُثُوبَاً قَبْلَ أَنْ يَثِبُوا

الحَاكِمُونَ و«وَاشْنُطُنْ» حُكُومَتُهُمْ
وَاللامِعُونَ .. وَمَا شَعُّوا وَلا غَرَبُوا

القَاتِلُونَ نُبُوغَ الشَّعْبِ تَرْضِيَةً
لِلْمُعْتَدِينَ وَمَا أَجْدَتْهُمُ القُرَبُ

لَهُمْ شُمُوخُ «المُثَنَّى» ظَاهِرًا وَلَهُمْ
هَوَىً إِلَى» بَابَكَ الخَرْمِيِّ» يُنْتَسَبُ

مَاذَا تَرَى يَا «أَبَا تَمَّامَ» هَلْ كَذَبَتْ
أَحْسَابُنَا؟ أَوْ تَنَاسَى عِرْقَهُ الذَّهَبُ؟

عُرُوبَةُ اليَوْمِ أُخْرَى لا يَنِمُّ عَلَى
وُجُودِهَا اسْمٌ وَلا لَوْنٌ وَلا لَقَبُ

تِسْعُونَ أَلْفَاً » لِعَمُّورِيَّةَ » اتَّقَدُوا
وَلِلْمُنَجِّمِ قَالُوا: إِنَّنَاالشُّهُبُ

قِيلَ: انْتِظَارَ قِطَافِ الكَرْمِ مَا انْتَظَرُوا
نُضْجَ العَنَاقِيدِ لَكِنْ قَبْلَهَا الْتَهَبُوا

وَاليَـوْمَ تِسْعُـونَ مِلْيونَـاً وَمَـا بَلَغُـوا
نُضْجَـاً وَقَدْ عُصِـرَ الزَّيْتُـونُ وَالعِنَـبُ

تَنْسَى الرُّؤُوسُ العَوَالِـي نَـارَ نَخْوَتِهَـا
إِذَاامْتَطَاهَـا إِلَـى أَسْـيَـادِهِ الـذَّنَـبُ

»حَبِيبُ« وَافَيْتُ مِـنْ صَنْعَـاءَ يَحْمِلُنِـي
نَسْرٌ وَخَلْفَ ضُلُوعِـي يَلْهَـثُ العَـرَبُ

مَاذَا أُحَدِّثُ عَـنْ صَنْعَـاءَ يَـا أَبَتِـي ؟
مَلِيحَـةٌ عَاشِقَاهَـا : السِّـلُّ وَالـجَـرَبُ

مَاتَـتْ بِصُنْـدُوقِ «وَضَّاحٍ» بِـلاَثَمَـنٍ
وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاهَا العِشْـقُ وَالطَّـرَبُ

كَانَتْ تُرَاقِبُ صُبْـحَ البَعْـثِ فَانْبَعَثَـتْ
فِي الحُلْمِ ثُمَّ ارْتَمَـتْ تَغْفُـو وَتَرْتَقِـبُ

لَكِنَّهَا رُغْمَ بُخْـلِ الغَيْـثِ مَـابَرِحَـتْ
حُبْلَى وَفِي بَطْنِهَـا«قَحْطَـانُ»أَوْ» كَرَبُ«

وَفِي أَسَى مُقْلَتَيْهَا يَغْتَلِي يَمَنٌ
ثَانٍ كَحُلْمِ الصِّبَا ...يَنْأَى وَيَقْتَرِبُ

»حَبِيبُ« تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَكَيْفَ أَنَا؟
شُبَّابَةٌ فِي شِفَاهِ الرِّيحِ تَنْتَحِبُ

كَانَتْ بِلاَدُكَ »رِحْلاً«، ظَهْرَ« نَاجِيَةٍ«
أَمَّا بِلاَدِي فَلاَ ظَهْرٌ وَلاَ غَبَبُ

أَرْعَيْتَ كُلَّ جَدِيبٍ لَحْمَ رَاحِلَةٍ
كَانَتْ رَعَتْهُ وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْسَكِبُ

وَرُحْتَ مِنْ سَفَرٍ مُضْنٍ إِلَى سَفَرٍ
أَضْنَى لأَنَّ طَرِيقَ الرَّاحَةِ التَّعَبُ

لَكِنْ أَنَا رَاحِلٌ فِي غَيْرِ مَا سَفَرٍ ...
رحلي دمي وَطَرِيقِي الجَمْرُ وَالحَطَبُ
إِذَا امْتَطَيْتَ رِكَابَاً لِلنَّوَى فَأَنَا
فِي دَاخِلِي ... أَمْتَطِي نَارِي وَاغْتَرِبُ

قَبْرِي وَمَأْسَاةُ مِيلاَدِي عَلَى كَتِفِي
وَحَوْلِيَ العَدَمُ المَنْفُوخُ وَالصَّخَبُ

»حَبِيبُ« هَذَا صَدَاكَ اليَوْمَ أَنْشُدُهُ
لَكِنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتَئِبُ؟

مَاذَا ؟ أَتَعْجَبُ مِنْ شَيْبِي عَلَى صِغَرِي؟
إِنِّي وُلِدْتُ عَجُوزاً .. كَيْفَ تَعْتَجِبُ؟

وَاليَوْمَ أَذْوِي وَطَيْشُ الفَنِّ يَعْزِفُنِي
وَالأَرْبَعُونَ عَلَى خَدَّيَّ تَلْتَهِبُ

كَذَا إِذَا ابْيَضَّ إِينَاعُ الحَيَاةِ عَلَى
وَجْهِ الأَدِيبِ أَضَاءَ الفِكْرُ وَالأَدَبُ

* * * * *

وَأَنْتَ مَنْ شِبْتَ قَبْلَ الأَرْبَعِينَ عَلَى
نَارِ «الحَمَاسَةَ» « تَجْلُوهَا وَتَنْتَحِبُ
وَتَجْتَدِي كُلَّ لِصٍّ مُتْرَفٍ هِبَةً
وَأَنْتَ تُعْطِيهِ شِعْراً فَوْقَ مَا يَهِبُ

شَرَّفْتَ غَرَّبْتَ مِنْ «وَالٍ» إِلَـى» مَلِكٍ«
يَحُثُّـكَ الفَقْـرُ ... أَوْيَقْتَـادُكَ الطَّلَـبُ

طَوَّفْتَ حَتَّى وَصَلْتَ » الموصِلِ « انْطَفَـأَتْ
فِيـكَ الأَمَانِـي وَلَـمْ يَشْبَـعْ لَهَـا أَرَبُ

لَكِـنَّ مَـوْتَ المُجِيـدِ الفَـذِّ يَـبْـدَأُه
وِلادَةٌ مِـنْ صِبَاهَـا تَرْضَـعُ الحِقَـبُ

* * * * *

»حَبِيبُ» مَـا زَالَ فِـي عَيْنَيْـكَ أَسْئِلَـةٌ
تَبْـدُو... وَتَنْسَـى حِكَايَاهَـا فَتَنْتَـقِـبُ

وَمَاتَـزَالُ بِحَلْقِـي أَلْـفُ مُبْكِيَـةٍ
مِنْ رُهْبَـةِ البَوْحِ تَسْتَحْيِـي وَتَضْطَـرِبُ

يَكْفِيـكَ أَنَّ عِدَانَـا أَهْـدَرُوادَمَنَـا
وَنَحْـنُ مِـنْ دَمِنَـا نَحْسُـو وَنَحْتَلِـبُ

سَحَائِـبُ الغَـزْوِ تَشْوِينَـا وَتَحْجُبُنَـا
يَوْمًا سَتَحْبَلُ مِـنْ إِرْعَادِنَـا السُّحُـبُ؟

أَلاَ تَـرَى يَـــا أَبَـــا تَمَّـــامَ بَارِقَـنَـــا
إِنَّ السَّمَـــاءَ تُرَجَّـــى حِيـــنَ تُحْتَجَـــبُ

وهذا تناص بين شاعرين من العصر الحديث ، كلاهما يتناول المجد العربي الداثر في الأندلس ، كلاهما يتسلل إلى الحديث عنه من خلال وصف لفتاة عربية أندلسية :

تعال معي نتأمل النصين :-

obeikandl.com

غرناطة

نزار قباني

في مـــدخل الحمـــراء كـــان لقاؤنـــا
مـــا أطـــيب اللقـــيا بـــلا ميعـــاد
عينـــان ســـوداوان في جحريهمـــا
تتوالـــد الأبعـــاد مـــن أبعـــاد
هـــل أنـــت إسبانـــية؟ ساءلـــتها
قالـــت: وفي غـــرناطة مـــيلادي
غرناطـــة؟ وصـــحت قـــرون ســـبعة
في تينـــك العيـــنين.. بعـــد رقـــاد
وأمـــية راياتـــها مرفوعـــة
وجيـــادها موصـــولة بجيـــاد
مـــا أغـــرب التـــاريخ كيـــف أعـــادني
لحفيـــدة ســـمراء مـــن أحفـــادي
وجـــه دمشـــقي رأيـــت خـــلاله
أجفـــان بلقـــيس وجيـــد سعـــاد
ورأيـــت منـــزلنا القـــديم وحجـــرة

كانـــت بهـا أمـي تمـد وســـادي
واليـــاسمينة رصعـــت بنجومهـــا
والبركـــة الذهبيـــة الإنشـــاد
ودمشـق، أيـن تكـون؟ قلـت ترينـها
في شعـــرك المنســاب ..نهـــر ســواد
في وجهـك العـربي، في الثغـر الـذي
مـا زال مختـــزناً شمـــوس بـلادي
في طيـب "جنـات العريـف" ومائهـا
في الفـــل، في الريحـــان، في الكبـاد
سارت معي.. والشـعر يلـهث خلفهـا
كسنابـــل تركـــت بغيـــر حصـاد
يتألـــق القـــرط الطـــويل بجيـدها
مثـــل الشـــموع بليلـــة الميـــلاد ..
ومـشيت مثـل الطفـل خلـف دلـيلتي
ووراثـــي التاريـــخ كـــوم رمـــاد
الزخـــرفات.. أكـاد أسمـع نبـــضها
والزركشـات علـى السـقوف تنـادي
قالت: هنـا "الحمـراء" زهـو جـدودنا

فاقـــرأ علـــى جـــدرانها أمجـــادي
أمجادهـــا؟ ومســـحت جرحـــاً نـــازفاً
ومســـحت جرحـــاً ثانيـــاً بفـــؤادي
يا ليـــت وارثـــتي الجمـــيلة أدركـــت
أن الـــذين عـــنتـــهم أجـــدادي
عانـــقت فيهـــا عنـــدما ودعتـــها
رجلاً يسمـــى "طـــارق بـــن زيـــاد"

obeikandl.com

تامل نص نزار ، ثم تامل هذا النص،

وثبتْ تستقرب النجم مجالا..

عمر أبو ريشة

وقد قالها على لسان الفتاة الإسبانية التي تعتزّ بأصلها العربي ولم تكن تعرفُ جنسيّةَ مَنْ تحدّث :

يقول :

وثبــتْ تســتقرب الــنجم مجــالا
وتهــادت تســحب الــذيل اختيــالا
وحيــــالي غــــادة تلعــــب في
شــــعرها المــــائج غنجــــا ودلالا
طلعــــة ريــــا وشــــيء بــــاهر
أجمــال جــل ان يســمى جمــالا
فتبســــمت لهــــا فابتســــمت
وأجالــــت في ألحاظــــا كســــالى
وتجاذبنــــا الأحاديــــث فمــــا
انخفضــت حســا ولا ســفت خيــالا
كــل حــرف زل عــن مرشــفها
نشــر الطيــب يمينــا وشمــالا
قلــت يــا حســناء مــن أنــت
ومن أي درح أفــرع الغصــن وطــالا

فرنـــــت شـــــاخة احســـــبها

فـــوق انســـاب البرايـــا تتعـــالى

وأجابـــت أنـــا مـــن أنـــدلس

جنـــة الـــدنيا ســـهولا وجبـــالا

وجـــدودي المـــح الـــدهر علـــى

ذكـــرهم يطـــوي جناحيـــه جـــلالا

بوركـــت صـــحراؤهم كـــم زخـــرت

بـــالمروءات رياحـــا ورمـــالا

حملـــوا الشـــرق ســـناء وســـنى

وتخطـــوا ملعـــب الغـــرب نضـــالا

فنمـــا المجـــد علـــى آثـــارهم

وتخطـــى بعـــدما زالـــوا الـــزوالا

هـــؤلاء الصـــيد قـــومي فانتســـب

إن تجـــد أكـــرم مـــن قـــومي رجـــالا

أطـــرق الطـــرف و غامـــت أعـــيني

برؤاهـــا وتجاهلـــت الســـؤالا

وهذه نصوص متناصة في الرثاء ، كل شاعر يصف زوجته ، ويصور مشاعره نحوها وما تركته من فراغ مؤثر في حياته .

النص الأول :لولاَ الحَيَاء جرير

لـــولا الحيـــاء لهـــاجني اســـتعبار
ولـــزرت قـــبرك والحبيـــب يـــزار

ولقـــد نظـــرت، ومـــا تمتـــع نظـــرة
في اللحـــد، حيـــث تمكـــن المحفـــار

فجـــزاك ربـــك في عشـــيرك رحمـــة
وســـقى صـــداك بمجلجـــل مـــدرار

ولهـــت قلـــبي، اذ علـــتني كـــبرة
وذوو التمـــائم مـــن بنيـــك صـــغار

أرعـــى النجـــوم وقـــد مضـــت غوريـــة
عصـــب النجـــوم كـــأنهن صـــوار

نعـــم القـــرين وكنـــت علـــق مضـــنة
وأرى بنعـــف بليـــة الأحجـــار

عمـــرت مكرمـــة المســـاك وفارقـــت
مـــا مســـها صـــلف ولا إقتـــار

فسقى صـدى جـدث ببرقـة ضـاحك
هـــزم، أجـــش، وديمـــة مـــدرار

متراكـــب، زجـــل يضـــيء وميضـــه
كـــالبلق تحـــت بطونهـــا الأمهـــار

كانـــت مكرمـــة العشـــير ولم يكـــن
يخشـــى غوائـــل أم حـــرزة جـــار

ولقـــد أراك كســـيت أجمـــل منظـــر
ومـــع الجمـــال ســـكينة ووقـــار

والـــروح طيبـــة إذا اســـتقبلتها
والعـــرض لا دنـــس ولا خـــوار

وإذا سريت رأيت نارك نورت
وجها أغر يزينه الإسفار

صلى الملائكة الذين تخيروا
والصالحون عليك والأبرار

وعليك من صلوات ربك كلما
نصب الحجيج ملبدين وغاروا

يا نظرة لك يوم هاجت عبرة
من أم حرزة بالنميرة دار

تحيي الروامس ربعها فتجدّه
بعد البلى، وتميته الأمطار

وكأن منزلة لها بجلاجل،
وحي الزبور، تجدّه الأحبار

لا تكثـــرن إذا جعلـــت تلـــومني،
لا يـــذهبن بحلمـــك الإكثـــار

كـان الخلـيط هـم الخلـيط فأصـبحوا
متبـــدلين، وبالـــديار ديـــار

لا يلبـــث القرنـــاء أن يتفرقـــوا
ليـــل يكـــر علـــيهم ونهـــار

كانـــت إذا هجـــر الخليـــل فراشـــها
حـــزن الحـــديث وعفـــت الأســـرار

القصيدة الثانية
دالية محمود سامي البارودي

في رثاء زوجته يعبر بها الشاعر عن معاناةٍ مؤلمة وقد قال قصيدته بعد أن بلغه وهو منفاه في سيلان(سرنديب) نبأ وفاة زوجته(عديلة بنت أحمد يَكَن باشا) في مصر وكانت السلطات الإنجليزية قد نفته إلى هذه الجزيرة مع أحمد عرابي وأربعة من قادة الثورة العرابية بعد إخفاقها في شهر صفر من عام ألفٍ وثلاث مائة من الهجرة(1882) وتوفيت زوجته بعد سنةٍ من نفيه.

ريب المنون قدحت أي زناد
وأطرت أي شعلة بفؤاد
أوهنت عزمي وهو حملة فيلق
و حطمت عودي و هو رمح طرادي
لم أدري هل خطب الم بساحتي؟
فأناخ أم سهم أصاب سواد
أبلتني الحسرات حتى لم يكد
جسمي يلوح لأعين العواد

لا لــوعتي تــدع الفــؤاد و لا يــدي

تقــوى علــى رد الحبيــب الغــادي

يــا مــوت فــيم فجعــتني بجليلــة ؟؟!

كانــت خلاصــة عــدتي و عتــادي

لو كنــت لم تــرحم ضــناي لبعــدها

أفــلا رحمــت مــن الأســى أولادي؟!

أفــردتهن فلــم يــنمن توجعــا

قرحــى العيــون روادف الأكبــاد

ألقــين بــر عقــودهن وصــغن مــن

بــر الــدموع قلائــد الأجيــاد

بكــين مــن ألم الفــراق حفيــة

كانــت لهــن كــثيرة الإســعاد

فخــدودهن مــن الــدموع نديــة

وقلــوبهن مــن الهمــوم ســواد

أســليلة القمــرين أي فجيعــة ؟؟!

حلــت لفقــدك بــين هــذا النــادي

لــو كــان هــذا المــوت يقبــل فديــة

للــنفس عنــك لكنــت أول فــاد

لكنمـــا الأقـــدار لـــيس بنـــاجع

فيهـــا ســـوى التســـليم و الإخـــلاد

هيهـــات بعـــدك أن تقـــر جـــوانحي

أســـفا لبعـــدك أو يلـــين مهـــاد

ولهـــي عليـــك مصـــاحب لمســـيرتي

والـــدمع فيـــك مـــلازم لـــو ســـاد

فـــإذا ابتغيـــت فأنـــت أول ذكـــرتي

وإذا أويـــت فأنـــت آخـــر زاد

تعس امرئ نســـي المعـــاد و مـــا درى

أن المنـــون إليـــه بالمرصـــاد

فاستهد يـــا محمـــود ربـــك و الـــتمس

منـــه المعونـــة فهـــو نعـــم الهـــاد

واســـأله مغفـــرة لمـــن حـــل الثـــرى

بـــالأمس فهـــو مجيـــب كـــل منـــاد

هـــي مهجـــة ودعـــت يـــوم زيالهـــا

نفســـي و عشـــت في حـــيرة و بعـــاد

تـــالله مـــا جفـــت دمـــوعي بعـــدما

ذهب الـــردى بـــك يـــا ابنـــة الأمجـــاد

لا تحسبيني ملـت عنـك مـع الهـوى

هيهـات مـا تـرك الوفـاء بعـادي

قد كدت أقضي حسـرة لـو لم أكـن

متوقعـا لقيـاك يـوم معـادي

فعليـك مـن قلـبي التحيـة كلمـا

ناحـت مطوقـة علـى الأعـواد

obeikandl.com

القصيدة الثالثة

الأنة الأولى

عبد الرحمن صدقي

كـــان لي في أُخريـــات الْـــ ـــعُمْـــرِ بيـــتٌ فعدمتُـــهْ
ســـــنواتٌ أربـــــعٌ؟ أم كـــان ذا حُلْمـــاً حلمتُـــه؟!
ليتـــه طـــال، ولـــو طـــا لَ، لمـــا كنـــتُ ســـئمتُه
زوجـــتي صِـــنوي، ومـــا لي غيرُهـــا صِـــنوٌ علمتُـــه
هـــي لم تـــنقم علـــى نَقْـــ ـــصِي، ولا شـــيءَ نقمتُـــه
همُّهـــا همِّـــي، فـــلا تَعْـــزِمُ إلا مـــا عزمتُـــه
همُّنـــا الـــدرسُ، ومـــا تفهمـــه منـــه فهمتُـــه
نظمـــتْ بـــالعطف والتَّفْـــ ـــكِيرِ عيشـــي ونظمتُـــه
وارتضـــينا مـــن لِقانـــا عِوَضـــاً عمّـــا حُرِمتـــه
برهـــةً، وانتبـــه الدَّهْـــ ـــرُ، فعفّـــى مـــا رسمتُـــه
أتـــرى الرضـــوان ذنبـــاً أثمتْـــه وأثِمتُـــه؟
أحـــرامٌ أنْ سَـــعِدنا؟ أم خيـــالٌ مـــا زعمتُـــه؟
كـــلُّ مـــا أعـــرف أنّـــي كـــانَ لي بيـــتٌ عدمتُـــه!

وهذه قصائد في رثاء الممالك الزائلة ، نتاملها جميعا لنرى ما فيها من تناص ،

النص الأول :

رثاء الأندلس المفقود
أبو البقاء الرندي

لكـــل شـــيء إذا مـــا تم نقصـــان

فـــلا يُغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

هـــي الأمـــور كمـــا شـــاهدتها دول

مـــن ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

وهـــذه الـــدار لا تبقـــي علـــى أحـــد

ولا يـــدوم علـــى حـــال لهـــا شـــان

أيـــن الملـــوك ذو التيجـــان مـــن يمـــن؟

وأيـــن منـــهم أكاليـــل وتيجـــان؟

وأيـــن مـــا شـــاده شـــداد في إرم؟

وأين ما ساســه في الفــرس ساســان؟

أتـــى علـــى الكـــل أمـــر لا مـــرد لـــه

حتى قضوا فكـــأن القـــوم مـــا كـــانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك

كما حكى عن خيال الطيف وسنان

كأنما الصعب لم يسهل له

سبب يوماً ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدنيا أنواع منوعة

و للزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها

وما لم حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له

هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت

حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية؟

وأين شاطبة أم أين جيان؟

وأين قرطبة دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شان؟

وأين حمص وما تحويه من نزه

ونهرها العذب فياض وملآن؟

قواعـــد كـــن أركـــان الـــبلاد فمـــا

عســـى البقـــاء إذ لم تبـــق أركـــان

تبكي الحنيفيـــة البيضـــاء مـــن أســـف

كمـــا بكـــى لفـــراق الإلـــف هيمـــان

علـــى ديـــار مـــن الإســـلام خاليـــة

قـــد أقفـــرت ولهـــا بـــالكفر عمـــران

حيث المساجد قـــد صـــارت كنـــائس

مـــا فيهـــا إلا نـــواقيس وصـــلبان

حتى المحاريـــب تبكـــي وهـــي جامـــدة

حـــتى المنـــابر تبكـــي وهـــي عيـــدان

يـــا غـــافلاً ولـــه في الـــدهر موعظـــة

إن كنـــت في ســـنة فالـــدهر يقظـــان

وماشـــياً مرحـــاً يلهيـــه موطنـــه

أبعـــد حمـــص تغـــر المـــرء أوطـــان؟

تلـــك المصـــيبة أنســـت مـــا تقـــدمها

ومـــا لهـــا مـــن طـــول الـــدهر نســـيان

يـــا راكـــبين عتـــاق الخيـــل ضـــامرة

كأنهـــا في مجـــال الســـبق عقبـــان

وحـــاملين ســـيوف الهنـــد مرهفـــة

كأنهـــا في ظـــلام النقـــع نـــيران

وراتعـــين وراء البحـــر في دعـــة

لهـــم بأوطـــانهم عـــز وســـلطان

أعنـــد كـــم نبـــأ مـــن أهـــل أنـــدلس

فقـــد ســـرى بحـــديث القـــوم ركبـــان

كم يستغيث بنـــا المستضـــعفون وهـــم

قتلـــى وأســـرى فمـــا يهتـــز إنســـان

لمـــاذا التقـــاطع في الإســـلام بيـــنكم

وأنـــتم يـــا عبـــاد الله أخـــوان

يـــا مـــن لذلـــة قـــوم بعـــد عـــزتهم

أحـــال حـــالهم جـــور وطغيـــان

بـــالأمس كـــانوا ملوكـــا في منـــازلهم

واليـــوم هـــم في بـــلاد الكفـــر عبـــدان

فلـــو تـــراهم حيـــارى لا دليـــل لهـــم

علـــيهم في ثيـــاب الـــذل ألـــوان

يـــا رب أم وطفـــل حيـــل بينـــهما

كمـــا تفـــرق أرواح وأبـــدان

وطفلة مثل حسن الشـمس إذ طلعـت

كأنمـا هـي يـاقوت و مرجـان

يقودهـا العلـج للمكـروه مكرهـة

والعـين باكيـة والقلـب حـيران

لمثل هـذا يبكـي القلـب مـن كمـد

إن كـان في القلـب إسـلام وإيمـان

obeikandl.com

رائية ابن عبدون الأندلسي

في رثاء بني الأفطس

بنو الأفطس من ملوك الطوائف ١٠٢٢-١٠٩٤ م. يعتقد أنهم أمازيغ مستعربة بينما ذكر إبن خلدون أنهم من بنو تجيب من كندة، كان مؤسس السلالة عبد الله بن الأفطس من كبار رجالات الحكم الثاني الخليفة الأموي وكانوا من رعاة الآداب والعلوم. كانت بينهم وبين بني عباد حكام إشبيلية حروب انتهت باستيلاء الأخيرين على جزء كبير من مملكة بني الأفطس. أصبحوا في نهاية أمرهم يؤدون الجزية إلى مملكة قشتالة إلى أن قضى عليهم المرابطون.

الدَّهْر يفجَع بعد العين بالأثرِ ... فما البكاءُ على الأشباح والصّور

أهاكَ أنّاكَ لا آلُوك موعظةً ... عن نومةٍ بين نابِ اللّيث والظُّفُر

فالدّهر حربٌ وإن أبدي مسالَمةً ... والبيضُ والسودُ مثلُ البيض والسُّمُر

ولا هوادةَ بين الرّأس تأخُذُه ... أيْدي الضّرابِ وبين الصّارمِ الذّكر

فلا يغرّنك من دنياك نومتُها ... فما صناعةُ عينيها سِوَى السَّهر

مَا للّيالي أقالَ الله عثْرَتَنا ... من اللّيالي وخَانَتْها يَدُ الغِيرَ

في كلّ حينٍ لها في كلّ جارحة ... منّا جرَاح وإن زَاغَت عن النّظر

تَسُرُّ بالشّيء لكن كي تَغُرَّ به ... كالأيْمِ ثَار إلى الجانِي من الزَّهر

كم دوله وليَت بالنّصر خدمتَها ... لم تُبق منها وسَلْ دنياك عن خَبر
هوت بَدارا وفلّت غَرب قَاتِلِه ... وكان عَضْباً على الأملاك ذا أثَر
واسترجَعت من بني ساسان ما وهَبت ... ولم تدع لبني يُونَان من أثَر
وأتْبعت أختَها طسْماً وعادَ على ... عادٍ وجُرهَم مِنها ناقضُ المِرَر
وما أقَالت ذَوي الهيئات من يَمن ... ولا أجارَت ذوي الغَايات من مُضر
ومزّقت سَبأً في كلّ قاصية ... فما التقَى رائحٌ منهم بمُبتكر
وأنْفَذَت في كُليب حكمها ورمت ... مُهَلْهلاً بين سمعِ الأرض والبَصر
ودوَّخَت آلَ ذُبيان وإخوتَهم ... عَبْسا؛ وعَضَّت بني بدر على النَّهر
ولم تَرُدَّ على الضّلّيل صِحَّته ... ولا ثَنَت أسداً عن رَبِّها حُجُر
وألحقَت بِعَديٍّ في العراق على ... يَدِ ابنه الأحمر العينين والشَّعَر
وأهلكت أبرويزاً بابنه ورمت ... بيزَدجردَ إلى مَروٍ فلم يُحِر
وبلّغت يَزْدَجِردَ الصّينَ واختزلَت ... عنه سِوىَ الفُرس جمَع التُّرك والخَزَر
ولم تَكُفَّ مواضي رُسْتمٍ وقَنَا ... ذِي حَاجِبٍ عنه سَعداً في ابْنَةِ الغَير
يومَ القَليب بنُو بدر فَنُوا وسَعى ... قَليبُ بدرٍ بمن فيه إلى سَقَر
ومزَّقت جعفراً بالبيضِ واختلست ... من غِيله حمزَةَ الظَّلاّمَ للجَزَر
وأشْرفَت بحُبيب فوق فارعةٍ ... وألْصَقَت طَلحةَ الفياضَ بالعفَر
وخَضَّبَتْ شَيبَ عُثْمانٍ دَماً وخَطت ... إلى الزُّبَير ولم تَستَحْيِ من عُمر
ولا رَعت لأبي اليَقْظان صُحبَتَه ... ولم تُزَوِّده إلاّ الضَّيْح في الغُمَر
وأجْزَرَت سيف أشْقاها أبَا حسنٍ ... وامْتكَنَتْ من حُسين راحَتي شَمِر

وليتَها إذ فَـدَت عمـراً بخَارِجَـةٍ ... فَدت عَليًّا بمن شاءَت من البَشـر

فبعضُها قائلٌ: مـا اغتالـه أحـدٌ ... وبعضُها ساكتٌ لم يُؤْت من حَصَر

وأرَدْت ابنَ زيادٍ بالحُسـين فلـم ... يَبُؤْ بِشِسْعٍ له قد طـاحَ أو ظُفـر

وعَمَّمت بالظُّبا فَوْدَيْ أبي أنـس ... ولم تَرُدَّ الـردى عنـه قَنـا زُفَـر

وأنزلَت مُصْعَباً من رأس شـاهِقةٍ ... كانت به مُهجة المختـار في وَزَر

ولم تُراقب مكان ابن الزُّبـير ولا ... رَعَت عياذَتَـه بـالرُّكن والحَجـر

وأعمَلَت في لَطيم الجـنّ حيلتَهـا ... واستوثَقت لأبي الذِّبَّان ذي البَحر

ولم تَـدع لأبي الـذِّبَّان قائمـةً ... ليس اللَّطُيم لهـا عمـرٌو بمُنتصـر

وأحْرقَت شلْو زَيدٍ بعد ما احترقت ... عليه وجداً قلوبُ الآي والسّـور

وأظْفَرت بالوَليد بـنِ اليزيـد ولم ... تُبق الخلافةَ بين الكـأسِ والـوَتَر

حبَابةٌ حـبُّ رمّـان أتيـتَ لهـا ... وأحمـرٌ قطَّرتـه نفحـةُ القُطـر

ولم تَعُدْ قُضُـبَ السَّـفَّاحِ نابيـة ... عن رَأْس مروانَ أو أشياعه الفُجُر

وأسْبلت دمعةَ الرُّوح الأمين على ... دمٍ بفَـخّ لآل المصـطفى هَـدَر

وأشْرقت جعفراً والفضلُ ينظـره ... والشَيخ يحيى بكأس الصّاب والصّبر

وأخْفَرت في الأمينِ العهدَ وانتدَبت ... لجعَفـرٍ بابنـه والأعبُـدِ الغُـدُر

وما وَفَت بعهـود المستعين ولا ... بمـا تأكّـد للمعتّـز مـن مِـرَر

وأوثقت في عراها كـلّ مُعتمـد. ... وأشْـرقت بقـذاها كـلّ مُقْتـدر

وروَّعَت كـلّ مـأمُون ومـؤتمن ... وأسلَمت كلّ منصـور ومنتصـر

وأعثـرت آل عبَّـاد لعَـا لهـم ... بِذَيلِ زباءَ لم تنفر مـن الذعـر

بـني المظفَّـر والأيّـامُ لا نزلـت ... مراحل والوَرى منها علـى سَـفَر

سُحقاً ليومكم يوماً ولا حملـت ... بمثلـه لَيْلَـة في غَـابِر العمـر

من للأسّـرة أو مـن للأعنّـة أو ... من للأسـنّة يهـديها إلى الثُّغَـر؟

من للظُّبا وعـوالى قـد عُقـدت ... أطرافُ ألْسُـنها بـالعِّي والحَصـر

وطُرِّزَتْ بالمنايَا السُّـود بيضُـهم ... أعجْب بذاك وما منها سوى الذِّكر

من للبَراعة أو مـن للبراعـة أو ... من للسّماحة أو للنّفع والضّـرر؟

أو دفـع كارثـة أو ردع آزفَـةٍ ... أو قمع حَادثة تُعيي علـى القَـدر

ويحَ السَّماحِ وويح البأس لو سلماَ ... واحسرةَ الدّين والدّنيا على عمـر

سَقَت ثَرى الفضل والعبّاسِ هاميةٌ ... تُعزي إليهم سَمَاحـاً لاَ إلى المَطـرِ

ثلاثةٌ ما ارتَقى النُّسران حيثُ رَقُوا ... وكلُّ ما طَار من نَسْـر ولم يَطِـر

ثلاثة مـا رأى العصـران مثلـهُم ... فضلاً ولو عُزِّزَا بالشمس والقَمـر

ثلاثة كذوات الدَّهر مُنْـذُ نـأوْا ... عنّي مضي الدَّهر لم يربع ولم يَحُر

ومرَّ من كلّ شـيء فيـه أطيُبـه ... حـتى التمُّتـع بالآصـالِ والبُكـر

أين الجلال الذي غَضَّت مهابَتُـه ... قلوبَنا وعيـونَ الأنْجُـمِ الزُّهُـر؟

أين الإباءُ الذي أرسَـوْا قواعِـدَه ... على دَعائَم من عزّ ومـن ظَفَـر؟

أين الوفاءُ الذي أصْـفَوا شـرائعه ... فلم يَرِد أحدٌ منها علـى كَـدَر؟

النص الثالث

رثاء القيروان
ابن رشيق القيرواني

بعد أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وخربوها، انتقل الشاعر إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إلى أن توفي سنة ٤٥٦ هـ

كم كان فيها من كرام السادة
بيض الوجوه شوامخ الإيمان
متعاونين على الديانة والتقى
لله في الإسرار والإعلانِ
ومهذبٍ جمّ الفضائلِ باذلٍ
لنواله؛ ولعرضه صوّان
وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا
سنن الحديث ومشكل القرآنِ
عُلماء إن سألتهم كشفوا العمى
بفقاهة وفصاحة وبيانِ
وإذا الأمورُ استبهمت واستغلقت
أبوابها وتنازع الخصمانِ

حلّوا غوامض كـل أمـر مشكـل
بدليـل حـقّ واضـح البرهـانِ
هجروا المضـاجع قانتيـن لربهـم
طلبـاً لخيـر معـرس ومـعـانِ
وإذا دجـا اللـيـلُ رأيتـهـم
متبتلـيـن تبـتـلَ الـرهـبـانِ
في جنة الفـردوس أكـرم منـزل
بين الحسـانِ الحـور والغلمـانِ
تجروا بها الفـردوس مـن أربـاحهم
نعم التجـارةُ، طاعـةُ الرحمـنِ
المتقـيـن الله حـق تُـقَـاتـه
والعارفيـن مكـايـد الشيـطـانِ
وتـرى جبابـرة الملـوك لديهـمُ
خُضعَ الرقاب نواكـسَ الأذقـانِ
لا يستطيعـون الكـلامَ مهـابـةً
إلاّ إشـارة أعـيـن وبـنـانِ
خافوا الإله فخافهم كـلُّ الـورى
حتى ضراءُ الأسـد فـي الغيـرانِ

تنسيك هيبتُهم شماخة كل ذي
ملكٍ وهيبةَ كل ذي سلطانِ
أحلامهم تزن الجبالَ وفضلهم
كالشمس لا تخفى بكلّ مكان
كانت تعد القيروانُ بهم إذا
عُدّ المنابر زهرةَ البلدانِ
وزهت على مصرٍ وحُقّ لها كما
تزهو بهم زغدت على بغدانِ
حسنت فلما إذ تكامل حسنها
وسما إليها كل طرف رانِ
وتجمعت فيها الفضائل كلّها
وغدت محل المن والفيمانِ
نظرت لها الأيام نظرة كاشحٍ
ترنو بنظرة كاشح معيانِ
حتّى إذا الأقدار حُمّ وقوعها
ودنا القضاءُ لمدة وأوانِ
أهدت لها فتنا كليل مظلم
وأرادها كالناطح العيدانِ

بمصائب من فادع وأشائب
ممن تجمع من بني دهمانِ
فتكوا بأمة أحمد، أتراهُم
أمنوا عقاب الله في رمضانِ
نقضوا العهود المبرمات وأخفروا
ذِمَمَ الإله ولم يفوا بضمان
فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا
سبيَ الحريم وكشفة النسوان
ساموهم سوء العذاب وأظهروا
متعسفين كوامن الأضغان
والمسلمون مقسمون تنالهم
أيدي العصاة بذلّة وهوان
ما بين مصطرع وبين معذب
ومقتل ظلماً وآخر عانِ
يستصرخون فلا يغاث صريخهم
حتّى إذا سئموا من الإرنانِ
بادوا نفوسهم فلما أنفذوا
ما جمعوا من صامت وصوان

واستخلصوا من جـوهر وملابـــس
وطـرائـــف وذخـائـــر وأوانِ
خرجـوا حفـاةً عائديـن بربهـم
من خوفهـم ومصائـب الألـوان
هربـوا بكـل وليـدة وفطيمـة
وبكـل أرملـةٍ وكـلّ حصـانِ
وبكـلّ بِكـر كالمهـاة غـريـرة
تَسبي العقـول بطرفهـا الفتـانِ
خـود مبتلـة الوشـاح كأنـهـا
قمر يلوح علـى قضيـب البـانِ
والمسجدُ المعمـورُ جامـع عقبـة
خرب المعاطن مظلـم الأركـانِ
قفر فما تغشاه – بعـد- جماعـة
لصـلاة خـمـس، لا ولا لأذانِ
بيـت بـه عُبـد الإلـه وبُطلَـتْ
بعـد الغلـو عـبـادة الأوثـانِ
بيـت بوحـي الله كـان بنـاؤه
نعـم البنـا والمبتَنَـى والبـانـي

أعظم بتلك مصيبتـه مـــا تنجلـــي
حسراتُهـــا أوِ ينقضـــي الملـــوانِ
لو أن ثهلانـــا أصيـــب بعشرهـــا
لتدكدكـت منهـا ذري ثـهـــلانِ
حزنت لها كُـوَرُ العـراق بأسرهـــا
وقرى الشـام ومصـر والخرســانِ
وتزعزعـــت لمصابهـــا وتنكـــدت
أسفـاً بـلاد الهنـــد والسـنـــدانِ
وعفا من القطـار بعـــد خلائهـــا
مـا بيـن أندلـس إلـــى حلـــوانِ
وأرى النجوم طلعـن غـير زواهـــر
فـي أفقهـن وأظلـــم القـمـــرانِ
وأرى الجبال الشمِّ أمسـت خشعـــاً
لمصابهـــا وتزعـــزع الثـقـــلانِ
والأرض من ولهٍ بهـا قـد أصـبحت
بعـد القـرار شديـــدة المـيـــلان
أترى الليالي بعد ما صنعـــت بنـــا
تقضـي لنـا بتواصـــل وتـــدان

وتعيـد أرض القيـــروان كعهدهـــا
فيما مضى مـن سالـــف الأزمـــان
من بعد ما سلبت نضائر حسـنها ال
أيـام واختلفـت بـهـــا ميـتـــان
وغدت كأن لم تغن قطُّ ولم تكـــن
حرماً عزيـز النصـر غيـــر مهـــان
أمست وقد لعب الزمـــان بأهلهـــا
وتقطعـت بهـــم عـــري الـــران

تستطيع بعد تأمل النماذج السابقة من الرثاء أن تتبين فيها التناص ، وأن كلا منها متأثر بالآخر، متناص معه ، ويبدو ذلك في :

- الفكرة العامة واحدة تقريبا فكلها يتحدث عن ضياع الدولة وانهيارها.
- كلها تشيد بملزك الدولة ورجالها السابقين ، وما كان فيها من أدباء وشعراء وعلماء وقادة ومصلحين .
- تستطيع من خلال تحليل النصوص،أن تتبين ما فيها أساليب أو أبيات متشابهة .

وهذان نصان في الوصف ، تاملهما جيدا لتتبين ما فيهما من تناص ،

النص الأول :

في الوصف
إيليا أبو ماضي

و نهـــر إذا والى التجعّـــد مـــاؤه

ذكرت الأفاعي إذ تلوي علـى الجمـر

تحيط به الأشـجار مـن كـلّ جانـب

كما دار حول الجيد عقـد مـن الـدّر

و قـد رقمـت أغصـانها في أديمـه

كتابا من الأوراق ، سطرا على سـطر

كـأنّ دنـانير تسـاقط فوقـه

وليس دنـانير سـوى الـورق النّضـر

كـأنّي بـه المـرآة عنـد صـفائها

تمثّـل مـا يـدنو إليهـا و لا تـدري

فما كان أدرى الغصن بالنظم و النثـر؟

وما كان أدرى المـاء بـالطّيّ والنّشـر

ذر المدح و التشبيب بـالخمر و المهـى

فإنّي رأيـت الوصـف أليـق بالشـعر

و ما كان نظـم الشّـعر دأبي و إنّمـا

دعاني إليـه الحـبّ و الحـبّ ذو أمـر

و لي قلـم كـالرّمح يهتـزّ في يـدي

إلى الخير يسـعى و الرّمـاح إلى الشّـر

و تفتـك هاتيـك الأسـنّة في الحشـى

و يحيي الحشى إن راح بفتـك بـالخير

إذا ما شـدا بـالطرس أذهـب شـدوه

هموم ذوي الشّكوى ووقر ذوي الـوقر

تبختر فـوق الطـرس يسـحب ذيلـه

فقالوا به كـبر ، فقلـت عـن الكـبر

النص الثاني :

لِلّهِ نهرٌ سالَ في بَطحاءِ

ابن خفاجة

لِلّـــهِ نَهـــرٌ ســـالَ في بَطحـــاءِ
أَشـــهى وُروداً مِـــن لِمـــى الحَســـناءِ
مُتَعَطِّـــفٌ مِثـــلَ السِـــوارِ كَأَنَّـــهُ
وَالزَهـــرُ يَكنُفُـــهُ مَجَـــرُّ سَـــماءِ
قَـد رَقَّ حَتّـى ظُـنَّ قُرصـاً مُفرَغـاً
مِـــن فَضَّـــةٍ في بُـــردَةٍ خَضـــراءِ
وَغَدَت تَحُـفُّ بِـهِ الغُصـونُ كَأَنَّهـا
هُـــدبٌ يَحُـــفُّ بِمُقلَـــةٍ زَرقـــاءِ
وَلَطالَمـــا عاطَيـــتُ فيـــهِ مُدامَـــةً
صَـفراءَ تَخضِـبُ أَيـدِيَ النُـدَماءِ
وَالريحُ تَعبَثُ بِالغُصـونِ وَقَـد جَـرى
ذَهَـبُ الأَصـيلِ عَلـى لُجَـينِ المـاءِ

المصادر والمراجع

١- آفاق الرؤيا وجماليات التشكيل د. محمد صالح الشنطي - من إصدارات نادي حائل الأدبي (نسخة إلكترونية).

٢- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١. ١٩٨٦.

٣- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ت: محمد شاكر دار المدني - جدة ط ١ ، ١٤٢٤هـ

٤- الأعلام،خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١١. ١٩٩٥

٥- الإيضاح للخطيب القزويني ت: عبد الحميد هنداوي/ مؤسسة المختار - القاهرة ط٩ ، ١٤٤١هـ

٦- (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ، ت : على البجاوي ، محمد أبو الفضل / دار الفكر العربي . ١٩٨٦م

٧- العمدة في نقد الشعر لابن رشيق القيرواني، ت. د. عفيف حاطوم/ دار صادر - بيروت ط١ ، ١٤٤١هـ

٨- المثل السائر لابن الأثير، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية - بيروت د.ط ١٤٢٠هـ

٩- التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزعبي/ مؤسسة عمون للنشر - الأردن ط٢ ٢٠٠٠م

١٠- التناص: المفهوم والآفاق، باقر جاسم محمد/ مجلة الآداب - بيروت ع٧-٩ ١٩٩٠م

١١- التناص ، مفهومه وأنواعه ، د/ محمد الأمين ولد أحمد عبد الله ، بحث ، (شبكة الأدب واللغة)

١٢- الخطيئة والتكفير، د. عبد الله الغذامي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٤ ١٩٩٨م:

١٣- السرقات الأدبية، د. بدوي طبانة دار الثقافة - بيروت د.ط ١٩٨٦م.

١٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط.٥. ١٩٨١.

١٥- الموازنة بين الطائيين ، الحسن بن بشر الآمدي ، (١-٢) تحقيق السيد صقر، ط. القاهرة.

١٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني .تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي . منشورات المكتبة العصرية صيدا-بيروت.

١٧- انطونيوس بطرس : بدر شاكر السياب شاعر الوجع، ط١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس،بلاتاريخ

١٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبد العزيز عتيق/ دار النهضة العربية - بيروت ط٣ ، ١٩٨٨م

١٩- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح/ المركز الثقافي العربي - المغرب ط٢ ١٩٨٦م

٢٠- تشريح النص ، د. عبد الله الغذامي : ، ط٢، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م..

٢١- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط. ١ . . ١٩٨٧

٢٢- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر. ط.دار المعارف بمصر.

٢٣- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٢٤- قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر د. سمير حجازي/ دار الآفاق العربية ط١ ١٤٢١هـ

٢٥- لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر،بيروت.

٢٦- مقال : نظرية التناص حسين جمعة من مجلة اللغة العربية بدمشق ، مج ٧٥ ج٢ ذو الحجة ١٤٢٠هـ

٢٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني: ت: محمد الحبيب خوجة/ دار الكتب الشرقية د.ط د.ت

٢٨ – موقع سبتمبر نت (مقال : الروائي والتاريخ) د / عبد الله حسين البار.

دواوين الشعر ،

١- الشوقيات ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠

٢- الأعمال الكاملة ،إبراهيم ناجي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣- الأعمال الكاملة ، نزار قباني ، منشورات نزار قباني ، بيروت ١٩٧٠

٤- ديوان المتنبي ، دار العودة ن بيروت ١٩٦٩

٥- ديوان توفيق زياد ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ م

٦- ديوان حافظ إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٥٣.